البلاغةُ الجديدةُ –مشروعُ التجديدِ المعاصرِ

ثوابتٌ ومتغيّراتٌ

New Rhetoric of the Contemporary Renovation project, Constants and Variables

أ.م.د هناء عبد الرضا رحيم الربيعيّ•

جامعة البصرة/ جمهوريّة العراق

تاريخ الإرسال: 2019/03/29 تاريخ القبول:2019/05/12 تاريخ النشر:2019/06/19

ملخص باللغة العربية: يمثّل مفهوم (البلاغة الجديدة) واحداً من المفاهيم التي ظهرت في موجة الدراسات الحجاجيّة التي دخلت إلى دراساتنا اللغويّة بسبب الترجمة، أو النقل عن دراسات الغرب المستحدثة في مجال إعادة بعث التراث الفكريّ لأرسطو وأفلاطون، مشكلاً – هذا المفهوم– بدوره دعوة صريحة من الباحثين لتطوير البلاغة التراثيّة من خلال تطبيق آليّاته ومحاولة إعادة بعث هذا التراث وما سنعرضه خلال البحث هو محاولة للوقوف على التوافقات والافتراقات الواقعة بين البلاغتين: العربيّة التراثيّة، والغربيّة الأرسطيّة كي نقيّم عمليّة التطوير هذه ، ونحكم على فاعليّتها من عدمه.

الكلمات المفتاحيّة: البلاغة الجديدة، التطوير، التجديد، البلاغة العربيّة، الحجاج، الإقناع، التوافقات، الفروقات.

Abstract : The concept of "new rhetoric" is one of the concepts that have emerged in the wave of the studies that have entered our linguistic studies due to translation or transfer from the studies of the West in the field of re-creation of the intellectual heritage of Aristotle and Plato. Through the application of its mechanisms and the attempt to re-establish this heritage and what we will present during the research is an attempt to find the consensus and differences between the two statements: Arab

•أستاذ بقسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، جمهورية العراق/ hanaa.raheem2017@gmail.com

heritage and Western Europe to evaluate this development process, and judge its effectiveness or not.

Keywords: new rhetoric, development, renewal, Arabic rhetoric, pilgrims, mask, consensus, differences.

تقديمـ يتباين مفهوم (البلاغة) في أيّة حضارة تبعاً للتطوّرات المجتمعيّة والثقافيّة والفكريّة التي تحيط به، واستنساخ مفهوم أيّ بلاغة لحضارة متباينة مع الحضارة المنقولة إليها هي محاولة مشوبة بالحذر؛ لأنّ لكلّ لغة خصوصيّتها التي توجبها ظروفها الخاصّة بها، والتي تسهم لاحقاً في تكوينها واستقرارها، ونقل هذه التجربة ومحاولة اقحامها على تجربة مختلفة عنها تماماً لن يوصل إلى نتائج إيجابيّة على المدى البعيد، وإنّما سيوصل بالنتيجة إلى محاولة فرض ثقافة الآخر، وإحجام الثقافة الذاتيّة وقمعها، وقد تمثّل هذا الأمر في واقعنا الثقافيّ المعاصر من خلال محاولة فرض ثقافة– الغرب– على التراث العريق الذي وسم مؤلّفات القدماء من العرب، ولا سيّما التراث البلاغيّ– موضوع البحث–، وبالتالي فالأمر ليس بالهيّن لأنّه سيؤدي إلى ضياع هويّة البلاغة العربيّة وذوبانها في بلاغة الغرب، وايقاف النموّ الذي كان من الممكن أن تستوعبه هذه البلاغة فيما لو خضعت للتطوّر بشكل طبيعيّ، وعلى الرغم من أنّ محاولة تطوير علوم اللغة والنهضة بها حقّ مشروع لكلّ متخصّص في هذا المجال إلا أنّ استبعاد خصوصيّة اللغة، وعدم مراعاة ظروف النشأة للعلوم يشكّل خللاً في عمليّة التطوير ذاتها.

والبحث في مفهوم (البلاغة الجديدة) أو ما يسمّى بالبلاغة الحجاجيّة الإقناعيّة يندرج في جملة ما يدعو إليه بعض المثقّفين والمعنيّين بهذا الشأن من الدعوة إلى تطوير البلاغة العربيّة من خلال استيراد فكرة البلاغة الجديدة الواردة في المؤلّفات الغربيّة – بصورة مباشرة أو غير مباشرة–، ومحاولة اخضاعها لها، من منطلق كونها محاولة سريعة للتطوير تتلاءم مع التطوّر التكنولوجي السريع الذي يمرّ به العالم

المعاصر، ويتجاوز التطوّر البطيء الذي من الممكن أن تخضع له البلاغة العربيّة فيما لو تُركت لحالها، فالبحث بمجمله يشكّل دعوة إلى إعادة النظر في محاولة التطوير هذه، وبيان مدى قابليّتها للتأثير أو التطبيق على البلاغة العربيّة التراثيّة.

وبطبيعة الحال فإنّ بحثنا يحاول أن يقف على قضيّة التحديّات التي تمرّ بها البلاغة العربيّة المعاصرة في ضوء تيّارات الحداثة والتجديد البلاغيّ، ويتعرّض لآليّة من آليّات تطوير ميادينها، فالبحث لا يحثّ على الانقطاع عن الحداثة بل الإفادة منها بالقدر المطلوب، ومن دون تغليب لها على الهويّة الثقافيّة العربيّة، فهو يركّز في نظرته على خصوصيّة البلاغة العربيّة، ويحاول أن يشجّع على تطويع الفكر المنقول لمقاييسها هي لا العكس– مثلما يحصل كثيراً– وبذلك نحافظ على تراثنا وعلى خصوصيّة علومنا بدلاً من الضياع في شخصيّة الآخر والذوبان في هويّته.

ويقف البحث – للوصول إلى ما سبق– على جملة من التوافقات والفروقات الواقعة بين البلاغتين (الغربيّة الحجاجيّة، والعربيّة التراثيّة)، في مجالات متعدّدة منها: ظروف النشأة؛ لنبيّن نقطة انطلاق كلّ منهما والظروف الموضوعيّة لنشأتهما، مع بيان الأساس اللغويّ لمفهوم البلاغة الإقناعيّة، وموقف الدارسين من مفهوم (البلاغة الجديدة)، والهدف المتوخى من كلا البلاغتين، والمكوّنات البنائيّة والشروط التي اشترطها العلماء لتحقيقهما، والآليّات المتّبعة والمعتمدة فيهما، مع عدم إغفال البحث حقيقة أنّ البلاغة العربيّة هي الثابت المستقرّ الذي حافظ على شكله القواعديّ منذ القرن السابع الهجريّ وحتّى يومنا هذا، ولم يستجب –هذا النظام القواعديّ– لمحاولات التطوير التي نادى بها الدارسون كثيراً؛ نظراً لقوّة البناء الذي استندت إليه، وصلابة الصرح الذي قام عليها، وأنّ البلاغة الحجاجيّة الإقناعيّة هي الوافد المتغيّر قياساً إلى الأصل.

والهدف المتوخّى من البحث هو الوقوف على خط سير محاولة من محاولات تطوير البلاغة، وتحديد المسار الطبيعيّ الذي ينبغي أن تنطلق منه محاولات التطوير الفاعلة والمؤثّرة فيها، فأيّ تجربة تطوريّة ينبغي أن تكون منطلقة من ذاتها، ومقاييسها، وخصوصيّاتها، وهو ما ندعو إليه دائماً وأبداً من أنّ الانطلاق ينبغي أن يكون من التراث إلى الحداثة لا أن يحدث العكس.

ولقد تسامح الكثير من المعاصرين في محاولتهم نقل تجربة البلاغة الإقناعيّة من الدراسات الغربيّة المعاصرة فوصلوا إلى النقل التامّ للتجربة–في كثير من الأحيان– بوصفها جزءاً من خطّ سير التطوير والتغيير لمسار البلاغة العربيّة، على اعتبار أنّه علم مرن قابل للمطاوعة والتأثّر، ولكنّهم في كثير من الأحيان كانوا يدركون وجود الافتراق إلى جانب التوافق ظاهراً أو ضمناً، وسنحاول–ما أمكننا– الوقوف عند نقاط الإتفاق والافتراق بين البلاغتين، مركّزين على نقاط مهمّة ومحدّدة لكلّ منهما، من خلال محاور عدّة، هي:

أوّلاً– ظروف النشأة.

ثانياً–المنطلق اللغويّ لمفهوم البلاغة الإقناعيّة.

ثالثاً– مصطلح (البلاغة الجديدة).

رابعاً– الهدف المتوخّى، ومجالات التأثير.

خامساً– المكوّنات البنائيّة.

سادساً– الآليّات المتّبعة في الإقناع.

منبّهين إلى أنّ بعض هذه المحاور قد يتّسع، وقد يضيق، وقد يتداخل في الآخر اعتماداً على طبيعة المادّة العلميّة المعروضة.

أوّلاً- ظروف النشأة:

تختلف البلاغة العربيّة عن نظيرتها الغربيّة في ظروف نشأتها من حيث إنّ البلاغة الغربيّة نشأت مرتبطة بالخطابة[21]، في إطار فلسفيّ منطقيّ، وموضوعها هو البحث عن حقيقة الوجود، وقيم الإنسان والفضيلة، وسلطة القول وقوّته لتحقيق الإقناع، إذ كان لهذه النشأة أسبابها التي استدعتها وبقوة، إذ انبثقت البلاغة الحجاجيّة من رحم الفلسفة اليونانيّة والجدل الذي تضمّنته، وارتبطت بقضايا الخلاف حول الملكيّة بعد انتفاضة ديمقراطيّة على الطغاة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وما شهدته هذه القضايا من تقديم للحجج والأدلّة التي تثبت حقوق المتقدّمين المطالبين بها، فتطلّب هذا الأمر التمتّع بقدرة فائقة من الفصاحة والبلاغة لإقناع المؤسسات القضائيّة بصحّة الادعاءات المطروحة في ساحتها، والوصول إلى الفصل بين المتنازعين، واحتاج الأمر أن يتصدّى لهذه المهمّة أساتذة لتعليم الناس أسس البلاغة الحجاجيّة ومبادئها، ومسائل الاحتمال مقابل قيم ماديّة؛ وبذلك سارت البلاغة الحجاجيّة جنباً إلى جنب مع الخطابة، وهو أمر طبيعيّ إذا ما قيس بظروف نشأتها والمهاد الأوليّ لهذه البلاغة وهو رحم المحاكمات التي احتضنتها في بادئ الأمر.

أمّا البلاغة العربيّة فقد أسهمت مجالات عدّة في نشوئها، إذ كان للبحوث التي كُتبت حول القرآن الكريم، ومحاولة الوصول إلى إعجازه ولغته، وتركيبه وبناءه أثر لا ينكر في تطوّر مباحثها، والتمهيد لانطلاقها في مؤلّفات مستقلّة بدلاً من أن تكون موضوعاتها مبثوثة في كتب الإعجاز، فضلاً عن انعكاس تطبيقاتها -احقاً-على النصّ الشعريّ وما أثير حوله من مناقشات نقديّة لبيان مدى التأثير المتحقّق من هذه النصوص في متلقيها، لا بل البحث في مقاييس التأثير تلك التي كانت ذوقيّة أولاً لتتطوّر إلى مقاييس عقليّة لاحقاً.

فتباشير البلاغة العربيّة ظهرت في أحضان مباحث إعجاز القرآن الكريم، ومقارنته بالشعر، والمفاضلة بينهما من حيث إنّ القرآن يمثّل كلام الله سبحانه وتعالى– المقدّس، والشعر يمثّل أفصح ما نطقه العرب– أعلى قيمة بلاغيّة لديهم–، فارتبطت البلاغة العربيّة بشكل وثيق بتصوير المعاني وإخراجها في أجمل صورة وأحسنها، وربّما يكون البلاغيّون– القدماء– قد حاولوا أن يبعدوا الخطابة عن ميادين علم البلاغة لما تشيعه الخطابة – في بعض الأحيان– من إحساس بالزيف والتمويه عند المتلقّي (3)، والابتعاد به عن الحقّ– مثلما نادى أفلاطون– وهذا الأمر استشعره العرب أيضاً فابتعدوا عن الخطابة لئلا يقترن وجودها في علم البلاغة بالقرآن الكريم المنزّه عن الباطل – كونها خادمة له.

والذي يبدو واضحاً للعيان أنّ للبلاغتين ظروفاً أوجبت نشأتهما، إذ ارتبطت البلاغة الحجاجيّة بالخطابة وقضايا الانسان لتمهّد لاحقاً إلى المطالبة بحقوقه، وإعطاء صورة واضحة عن العدل والمساواة، ولكنّها من جانب آخر وظّفت هذا الهدف لخدمة الأشخاص والمجتمع من خلال تحقيق الفائدة الماديّة المقابلة لتعلّم أسس هذه البلاغة ومبادئها، في حيث إنّ البلاغة العربيّة نشأت لخدمة النصّ القرآنيّ فكان الوقوف على تفسير مفردات القرآن، وتحديد سبب إعجازه هدفاً مقدّساً– لا يقدّر بثمن– بالنسبة للباحثين، ومن هنا يأتي التباين بين البلاغتين، فالأولى خدمت المتلقّي لتصل لاحقاً إلى خدمة النصّ، والثانية خدمت النصّ المقدّس لتصل لاحقاً إلى خدمة المتلقّي، وهو فرق جوهري في بواعث النشوء.

إلى جانب ما سبق فإنّ البلاغة الغربيّة كانت وليدة النشأة في داخل بيئتها وثقافتها الإجتماعية والسياسيّة والاقتصاديّة والدينيّة، ولم تتأثّر بثقافات خارج الإطار البيئيّ الذي

احتضنها، فكانت – بوصفها تجربة تطوريّة– تنطلق من ذات محيطها الثقافيّ، ومن جوهر مكوّناتها الحضاريّة، أمّا البلاغة العربيّة فتبدو إفادتها من الثقافات الخارجيّة – ولا سيّما البلاغة اليونانيّة– واضحة للعيان، وبالذات في مؤلّفات أرسطو، إذ تمّت الإفادة من أفكاره كثيراً، وتمثّلها العلماء في بعض الكتابات القديمة من أمثلة كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر(ت337هـ)، و(البرهان في وجوه البيان) لابن وهب(من علماء القرن الرابع الهجريّ)، و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ)، وقد انسحب هذا الأمر أيضاً إلى وقتنا المعاصر فبدا واضحاً للعيان مقدار التأثّر بالدراسات الغربيّة المعاصرة من خلال الترجمة أو الشرح والتحليل لهذه الدراسات، فقد أسهمت التأثيرات الخارجيّة في إثراء البلاغة العربيّة وانفتاحها على ثقافة الحضارات الأخرى، مثل: الثقافة الفارسيّة والهنديّة واليونانيّة، وكتابات القدماء تشهد بهذا التأثّر.

يُضاف إلى ما سبق فإنّ البلاغة الحجاجيّة الغربيّة شهدت منذ نشأتها تطوّراً وتغيراً متواصلاً على الصعيدين: القديم والحديث بسبب الأجواء الديمقراطيّة التي احتضنتها وانتجتها، في المجالس الاستشاريّة، وفي المحاكم، وفي الاحتفالات، وبمباركة الجميع، في حين أنّ البلاغة العربيّة لا تزال الأجواء الديمقراطيّة فيها غير حاضرة وغير متحقّقة، لا بل إنّها في حكم النادرة، علماً أنّ أسلوب الحوار والمناقشة لا يخلو من أثر في ترسيخ قيم الإقناع، واحترام الاختلاف، وهذا الأمر لم يتحقّق في البلاغة العربيّة التي نشأت في أحضان سلطة السيف والقوّة وعدم وجود رأي آخر يمكن أن يصدح عالياً فوق رأي السلطة، فمن الطبيعي ألا يُسمح لهذا الخطاب القائم على الحوار والمناقشة بالنموّ والتطوّر لأنّه يشكّل خطراً على منظومة السلطة السائدة [4].

ثانياً– المنطلق اللغويّ لمفهوم البلاغة الإقناعيّة:

لو بحثنا في القواميس الإنجليزيّة والفرنسيّة عن معنى كلمة (إقناع/Persuasion) لوجدنا أنّها تضمّنت معانٍ دلاليّة متعدّدة، فقد دلّت في القواميس الإنجليزيّة على: القدرة والحثّ على الإقناع، والاقتناع، والرأي أو المعتقد، والنوع أو الجنس، أمّا معناها في القواميس الفرنسيّة، فهي: القدرة على الإقناع، والإفحام، واليقين[5]، وبموجب هذه الدلالات فإنّ هاتين الترجمتين للفظة توصلان إلى أنّها قد تعني: القدرة أو الحثّ على الإقناع، وقد تعني اليقين والاعتقاد القاطع، فتتقارب بذلك- في معنى اليقين- مع كلمة (Convaincre)؛ إذ مع وجود الإقناع والاقتناع يتحقّق اليقين والاعتقاد، وقد حلّت موسوعة لالاند الفلسفيّة هذا الإشكال بالقول إنّ هنالك تقابلاً قد وقع بين اللفظتين: (Convaincre) و(Persuasion) وليس ترادفاً، من حيث إنّ اللفظة الأولى تعني الإقناع من خلال الحجج للوصول إلى الحقيقة، واللفظة الثانية تعني الحمل على الإقناع من خلال الخيال والانفعال، ليس في سبيل الوصول إلى الحقيقة فقط، بل في سبيل الخطأ أحياناً([6])، وهو فهم يتقارب مع معنى الإقناع اصطلاحاً مثلما سنلاحظ لاحقاً.

وتتّفق المعاجم العربيّة في أغلبها-القديمة والحديثة-على أنّ مادّة (ق ن ع) لها معنيان لغويّان، هما: السؤال والتذلّل، والرضى([7])، والجامع بين المعنيين هو الرضى في الحالتين، إذ أنّ السؤال والتذلّل يوصل في نتيجته إلى الرضى والقناعة من خلال تحقيق هدف السؤال، وهذا المعنى هو الأدخل في الدلالة اللغويّة لكلمة (إقناع) عند أهل اللغة.

أمّا المعنى الاصطلاحيّ لكلمة (إقناع) ضمن مفهوم البلاغة -العربيّة والغربيّة-فهو أمر يحتاج إلى استقراء تاريخيّ لتبدلاته وتغيّراته عبر الزمن للوصول إلى ما استقرّت عليه اللفظة، وليس هدفنا-هنا-الاستدلال بالتعريفات الكثيرة للإقناع أو مثلها للبلاغة،

وإنّما هدفنا هو الوقوف على ما يربط البلاغة بالإقناع في الثقافتين، ويشكّل بدوره أساساً مهمّاً من أسس الحجاج، فكلّ خطاب حجاجيّ يسعى إلى تحقيق الإقناع.

ففي الثقافة الغربيّة القديمة كان الاقناع هو الشغل الشاغل للفلاسفة، وهو مهمّة الخطيب الذي تقع على عاتقه هذه الوظيفة من خلال معالجة الآراء والأشياء المرئيّة والمحتملة باستعمال السفسطة والأدلّة العاطفيّة لتحقيقه، ويبالغ أفلاطون في وصفه هذا الاقناع بأنّه ينبغي أن يكون كافياً لاقناع الآلهة أيضاً لا البشر فقط. أمّا أرسطو فربط الاقناع بالعقل بدلاً من الانفعال العاطفي الذي دعا إليه أفلاطون، وبذلك يكون الاقناع عنده جزء من الحجاج الخطابيّ، ومفهومه هو: الكشف عن الطرق الممكنة للاقناع في الخطابة، في أيّ موضوع كان[8].

أمّا البلاغة العربيّة فقد ارتبطت في تعريفاتها اللغويّة التي نُقلت عن القدماء بالإبلاغ أي الإيصال، والوصول إلى الغاية[9]، وفي معناها الاصطلاحي ارتبطت بقصد التأثير في المتلقيّ وافهامه، فالبلاغة سُميت بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه[10]، ومفهوم الايصال مفهوم جوهريّ في البلاغة العربيّة، تقوم عليه فنونها بأكملها، لتصل إلى قلب المتلقّي وتؤثّر فيه، فضلاً عن مباديء أخرى شملتها البلاغة، مثل: مراعاة أحوال المخاطب، والاعتناء بالخطاب من حيث شكله ومضمونه من خلال حسن اختيار اللفظ، ومراعاة انسجامه مع معناه، ووضعه في نسق مؤثّر، فكلّ هذه الأمور– التي شغل بها قدماء البلاغيّين– تدخل في صلب عمليّة الاقناع.

ولم يرد مفهوم الاقناع عند القدماء من العرب[11] فقط بل استعملوا اللفظة ذاتها بمفهومها الاصطلاحي الذي ورد عند الغربيّين، من أمثلة قول القرطاجنّيّ في تعريف للإقناع بأنّه: ((**حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله واعتقاده**))[12]، وقول الخوارزمي عنه: ((**ومعنى الاقناع أن يعقل نفس السامع الشيء**

بقول يصدّق به وإن لم يكن ببرهان))[13]، وهذا الفهم يبدو متقارباً جدّاً مع مفهوم الاقناع عند القدماء من الغربيّين، وبذا يكون مفهوم الاقناع وتطبيقه وارداً عند قدماء البلاغيّين من العرب، وربّما يكون للتأثّر الثقافيّ بين الحضارتين –الغربيّة والعربيّة– أثره الواضح في هذا الأمر.

أمّا المفهوم المعاصر الذي تندرج تحته البلاغة الإقناعيّة الغربيّة فهو محاولة إعادة بعث البلاغة اليونانيّة والرومانيّة، ولا سيّما بلاغة أرسطو، وإعادة قراءتها من جديد بما يتوافق مع التغيّرات الحضاريّة الجديدة؛ ولهذا فهي إعادة لبلاغة قديمة في ثوب جديد، وكذا هو مفهومها في الدراسات العربيّة المعاصرة التي لم تأتِ بجديد يُذكر سوى ترجمة المصطلح في الكتب التي بحثت في الحجاج والإقناع، ونقل التجربة من الغرب ومحاولة تطبيقها على نماذج من التراث العربي[14].

والذي نستنتجه من هذا العرض أنّ المنطلق اللغويّ للبلاغتين متقارب ومتآلف بينهما من حيث إنّ المنطلق اللغويّ للبلاغة الغربيّة ركّز على الهدف المتوخّى من البلاغة وهو الإقناع، ففي البلاغة الغربيّة يكون الوصول إلى اليقين والاعتقاد الجازم بالأمور هو هدف البلاغة من خلال سوق الحجج والأدلّة التي تعين على ذلك، وفي البلاغة العربيّة فإنّ تحقيق رضى المتلقّي وقناعته بالكلام المُلقى إليه من خلال السعي إلى إيصاله إليه بشتّى الوسائل الفنيّة هو هدف البلاغة الأساس.

وكذا مفهوم المعنى الاصطلاحي الذي يبدو متقارباً جدّاً بحيث يظهر بشكل مفاهيم جزئيّة ضمن عمليّة الاقناع في كتب بعض البلاغيّين من العرب القدماء[15]، أو قد يظهر اللفظ الصريح للمصطلح مع مفهومه في كتب آخرين مثلما ذكرنا سابقاً؛ ممّا يؤكّد قضيّة تأثر البلاغة العربيّة – في هذا المفهوم– بالبلاغة الغربيّة قديماً وحديثاً.

ثالثاً– مصطلح (البلاغة الجديدة):

يعدّ مصطلح (البلاغة الجديدة) من أهمّ المصطلحات التي تمّ تداولها في من الدراسات المعاصرة لبلاغة الاقناع، وهو مصطلح اضطرب مفهومه بين التراث الذي انطلق منه، والمفهوم الذي وصل إليه، فهو عند أرسطو– من وجهة نظر المعاصرين– يعني: مراعاة المقام والحال من خلال العلاقة القائمة بين الخطيب والمستمع من الناحية النفسيّة والأخلاقيّة، وبموجب هذه العلاقة ودراسة أحوال المخاطب قام أرسطو بتقسيم الخطابة على أساسها، والعرب – مثلما يبدو لنا– لم يهتمّوا بهذه العلاقة بين المتكلّم والمستمع فحاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليها أو يراعيها من أحوال المستمعين، وهنا لا يظهر للمستمع شخصيّة واضحة لأنّه غائب عن الكلام تماماً، والجهد الأكبر في الكلام يقع على عاتق المتكلّم، في حين أنّ شخصيّة السامع تكون واضحة وله دوره الايجابيّ في الحوار في البلاغة الغربيّة القديمة والمعاصرة أيضاً.

ولم يقع الاشكال في هذا المصطلح على مستوى مفهومه القديم، بل وقع أيضاً في مجال ترجمته وتحديد ما يقابله في اللغة العربيّة في الدراسات المعاصرة، فمصطلح (rhétorique) قابل عند المترجمين إلى العربيّة مفاهيم عدّة، إذ انقسموا إزائها على أربعة مجاميع:

– دارسون ذهبوا إلى ترجمة المصطلح بـ(البلاغة)، ومنهم: صلاح فضل، ومحمد سالم الامين الطلبة، ورضوان الرقبي، وعبد العزيز الحويدق[16].

– دارسون ذهبوا إلى ترجمته بـ(الخطابة)، ومنهم: علي الشبعان، وعبد العالي قادا [17].

– دارسون ذهبوا إلى الدمج بينهما فدلالة المصطلح تعني (البلاغة والخطابة) معاً، ومنهم: محمد الولي وعائشة جرير، وحافظ إسماعيليّ علويّ[18].

– دارسون خلطوا بين الدلالتين، فتارة ترجموا المصطلح بـ(البلاغة)، وتارة أخرى بـ(الخطابة)، ولكنّهم اتّفقوا على أنّها (جديدة)، أمثال: محمد العمريّ، وعبد الله صولة، وأحمد يوسف[19].

ويبدو لنا أنّه كان هناك شبه إجماع أو شبه ميل شديد نحو (البلاغة) وليس (الخطابة)، وذلك من خلال إعطاء البلاغة امتيازات خاصّة بالخطابة لتستطيع تحقيق أثرها بفاعليّة وإقناع للمقابل.

ثم إنّ مفهوم دلالة البلاغة فيه لم يكن واضحاً أيضاً، فالبلاغة الجديدة ماذا يُقصد منها؟ هل البلاغة الأدبيّة الإمتاعيّة، أو البلاغة الإقناعية الإفهاميّة؟[20].

وقضيّة التداخل بين الخطابة والبلاغة في دلالة هذا المصطلح هو أمر طبيعيّ بحسب قانون التطوّر، فالبلاغة قد تستدعي أحياناً غلبة الفلسفة والمنطق على مباحثها، وفي مرحلة أخرى تستدعي غلبة الصور البلاغيّة والمحسّنات ضمن قانون الحاجة التي تحتّمها تطوّرات المجتمع ونموّه وبما يتناسب مع العقليّة السائدة للأشخاص المستمعين ورغبتهم فيما يسمعون.

ومصطلح (البلاغة الجديدة) في العصر الحديث يعني بعث لبلاغة أرسطو من جديد في مصنّفات المحدثين من الغربيّين أمثال: بيرلمان وتيتكاه [21]؛ لتكون البلاغة قائمة على العقل والعاطفة معاً؛ إذ ما عادت بلاغة المحسّنات والصور نافعة للتعبير عن حاجات المجتمع المتطوّرة والمتغيّرة فاحتاجت أن تدخل الفلسفة–التي ذابت في بلاغة أرسطو–إلى مباحثها، وتستدعيها من جديد.

ويعدّ هذا المصطلح (rhétorique)–في طبيعة الحال–من المصطلحات التي يصعب ترجمتها إلى العربيّة من دون إثارة مشاكل لعدم وجود مقابل لفظيّ يحصل حوله إجماع، وقد تنبّه قدماء العرب من التراجمة إلى هذه المسألة ولذلك هم لم يضعوا ترجمة

أمام هذا المصطلح وإنّما أبقوا عليه كما هو فأسموه بـ(ريطوريّة) أو (ريطوريقا) فنقلوا المعنى حرفيّاً، وهي التفاتة ذات مغزى مقصود لديهم[22].

رابعاً– الهدف المتوخّى من كلا البلاغتين، ومجالات التأثير:

تتّفق البلاغة الإقناعيّة الغربيّة مع البلاغة العربيّة القديمة على مدى فترة تطورهما الزمنيّ في أنّ كليهما وضعتا لتحقّقان وظائف أهمّها: الإقناع والإمتاع، الهدف الأوّل ارتبط بالعقل، والثاني ارتبط بالعاطفة والخيال، وفي الحالتين فإنّ البلاغة تجمع المضمارين معاً في فنونها، فالعقل لا يغيب عن الهدف الثاني والعكس، ولتحقيق هذه الوظائف والغايات– في البلاغتين– لا بد من توافر شروط ثلاث: مخاطِب، ومخاطَب، ومقتضيات أحوال، فالبلاغة في كليهما هي وسيلة للتأثير في المستمعين، واستمالتهم واقناعهم بالرأي، ولكن على الرغم من هذا الاتفاق فإنّ هذه الوظائف مجتمعة تحقّقت في الثقافة الغربيّة من خلال إثبات وظيفة الإقناع للبلاغة عبر شروطها الحجاجيّة مجتمعة، في حين أنّ البلاغة العربيّة لم تُوظّف هذه الأمور فيها سويّة، فقد يظهر بعضها وقد يختفي الآخر بحسب الظروف البيئيّة المحيطة بها، فضلاً عن أنّ الشروط الحجاجيّة التي قد يظهر الإقناع من خلالها لم تتحقّق كليّاً فيها، أو قد لا تتواجد جميعاً بالقوّة نفسها.

والنقطة اللافتة للانتباه هنا أنّ منطلق وظيفة الاقناع – في الفكر الغربيّ– للتأثير لم يكن منطلقاً واحداً، وإنّما كان متبايناً بحسب الحقب التاريخيّة التي مرّت بها البلاغة، فقد انتقل انتقالات متعدّدة، من التركيز على اللغة أساساً للتأثير عند اليونان، إلى التركيز على الخطيب عند الرومان[23]، والفرق واضح بين الأمرين، فالبلاغة في الحالة الأولى لا تجبر الجمهور على الاقتناع، وإنّما توظّف اللغة لتحقيق هدفها من الاستمالة والاغراء بما يتلاءم مع معتقداته وآرائه، في حين أنّ الثانية تجبر المتلقّي على القبول

بما يقوله الخطيب وبما يتلاءم مع التوجّهات الاجتماعيّة والسياسيّة التي يحملها، ومن دون مراعاة لرغبة المتلقي، ولعلّ الفرق واضحاً بين التصوّرين.

ثم أخذت البلاغة بعد ذلك–في المرحلة الحديثة–تسير في توجهين آخرين يختلفان عمّا سبق، الأوّل هو المنحى الجدلي المستند إلى مباديء التحليل الرياضيّ؛ وتكون نتائجه مقنعة للمتلقّي لأنّها تعتمد الحقائق اليقينيّة الصارمة، والمنحى الثاني هو ربط البلاغة بالأسلوب فزاد الاهتمام بالبحث عن جماليّات الصورة والأساليب المجازيّة في الكلام[24].

هذه المنطلقات المتعدّدة وسمت البلاغة الغربيّة بسمات مختلفة، فكانت عقليّة في مرحلة، وجماليّة احتماليّة في أخرى، ومن ثمّ تباينت في مراحل أخرى بين: الذاتيّة، والقوليّة، والاستدلاليّة المنطقيّة، وهذا التعدّد في السمات لم يسمح بإعطاء صورة واضحة عن التوجّه الحقيقيّ العامّ للبلاغة الغربيّة، فضلاً عن تباين متعلّقاتها من شروط الخطاب، وطبيعة المتلقّي في كلّ منحى من هذه المناحي، وهذا التباين الذاتي قد خلق اضطراباً في صورة البعث اللاحقة التي شملت البلاغة الغربيّة إذ خلقت تبايناً فيما بين الداعين إلى بعث البلاغة باتخاذهم نماذج مختلفة للانبعاث انطلاقاً من هذه المسالك المتباينة.

ولكن يبقى الجامع بين كلّ هذه المراحل أنّ هدف الاقناع هو استمالة المتلقّي وإذعانه لما يقوله الخطيب لغرض التأثير فيه وإحداث التغيير المطلوب إحداثه، فإن كان الهدف من الكلام هو الامتاع بنيت البلاغة على التخييل لتدعيم مهمّة العاطفة في التأثير، وإن كان الهدف هو الاقناع بنيت البلاغة على ايراد الحجج والأدلّة لتدعيم

مهمّة العقل في إحداث الاقناع، فمقام الكلام هو الذي يحدّد الهدف الذي سيسير إليه الإقناع عبر آليّاته.

وهذا الشكل الواحد من نمطيّة التأثير في البلاغة الغربيّة يواجه بأشكال متعدّدة في البلاغة العربيّة، فقد أخذت مفاهيماً متعدّدة من غرضيّ الامتاع والاقناع؛ والسبب الرئيس في ذلك يعود إلى أنّ البلاغة العربيّة لم تكن تعي تماماً مفهوم الإقناع بغرضيه بشكل مباشر، فتعترف به وتصرّح، وإنّما ما نستخرجه هنا مبني على قراءات التراث البلاغيّ التي أوجدت ضمناً هذه الأشكال من التأثير بعد النظر إلى تقسيماتها في البلاغة الغربيّة، فكانت البلاغة داعية إلى الاقناع ضمناً عبر مقاييسها التي اعتمدتها، وعبر مفاهيم متعدّدة، من أمثلة دواعي الإقناع المتحقّقة عبر: الإفهام، والبصر بمواقع الكلام لايراد الحجج، ومناسبة الكلام لمقتضى الحال[25]، ودواعي الإمتاع المتحقّقة عبر: حسن المعرض، وإظهار الكلام في صورة حسنة، وتجنّب الكلام القبيح اعتماداً على الذوق[26]، وهذه الأغراض لم تكن مستقلّة بذاتها في المؤلّفات البلاغيّة التراثيّة فهي متداخلة مع بعضها بعضاً.

وبموجب هذا الفهم عن وظيفة البلاغة عند القدماء فهي تلتقي إذاً في وظائفها جميعاً مع الاقناع في أنّ كليهما عمليّة تواصليّة بين طرفين (باثّ ومتلقيّ)، تهدف إلى التأثير في المتلقيّ، تقوم على الحجّة والدليل، يكون غرضها الامتاع أو الإقناع، وفي الحالتين فإنّ الفكر العقليّ لا يغيب عنهما ولو للحظة فهي تعبير قصديّ بامتياز، وهذا المفهوم خاصّ بالبلاغة الاقناعيّة.

أمّا الذي تسعى البلاغة إلى التأثير فيه – أي الجمهور – فيختلف بحسب الحضارة التي تنتمي إليها البلاغة، ففي الحضارة اليونانيّة كان المتلقّي هو القاضي الذي يحكم بأحقيّة المتكلّم ومطالبته بحقّه في الخطابة (القضائيّة)، وهو يختلف عن جمهور الناس

في الخطابة (الاحتفاليّة)، وكذا يختلف عن الجمهور الخاصّ في البلاغة العربيّة أو المتلقّي الخاصّ الذي يفقه أساليب البلاغة والبيان ويعرف مجاري استعمال اللغة عند العرب الفصحاء، وفي العصر الحديث فإنّ مجال تأثير البلاغة انسحب إلى الجمهور العالميّ بسبب انتشار ثقافة الإعلام والإشهار.

وتزايد الاهتمام بالبلاغة الإقناعيّة –عبر الزمن –يأتي من أنّ الإنسان بطبيعة الحال لا يبقى محافظاً على معتقداته وآرائه وإنّما يتغيّر مع تغيّر الظروف المحيطة، وهذا التغيّر هو جزء من الحياة الفكريّة للإنسان التي ينبغي استثمارها وتوجيهها لخدمة قضايا الفكر.

خامساً–المكوّنات البنائيّة التي تعتمد عليها البلاغتان:

إنّ الإقناع – بطبيعة الحال– يتطلّب مكوّنات تؤلّف بلاغته، فيعتمد على وجودها حتّى تكون مقدّماته سليمة لتحقيق التأثير المطلوب، والمكوّنات البنائيّة هي المفاهيم الأساسيّة التي تستند إليها عمليّة الإقناع، فمن دون هذه المكوّنات – التي تمثّل مقدّمات التأثير– لن يكون الإقناع قائماً على ما يؤسّس له؛ إذ تكون العمليّة أشبه بالعشوائيّة غير المحدّدة، وما نلحظه – فيما يخصّ البلاغتين (الغربيّة والعربيّة)– أنّ هذه المكوّنات لم تظهر فجأة بكلّها المتكامل، وإنّما احتاجت إلى مسار طبيعي من التطوّر؛ لذا فهي قد تظهر في أزمان محدّدة بصورة جزئيّة لتتكامل لاحقاً، وقد تكون خالية من التطبيق في بدايتها، ولكنّها تبقى مهمّة في بيان التكوين الطبيعي لهذه البلاغات، فنظرة المؤسّسين قد تختلف تبعاً لمنطلقاتهم الفكريّة.

والمكوّنات البنائيّة للبلاغة الغربيّة تنطلق من أساس واحد يجمعها جميعاً عبر عصورها المختلفة، تمثّلها الخطابة، فالخطابة تمثّل الأساس الذي تعتمده هذه البلاغة لتحقيق الإقناع وإحداث التأثير المطلوب، ولكن وقوع التركيز على بعض متعلّقاتها من

دون الآخر هو ما يميّزها في فترة زمانيّة على أخرى، ولو توقّفنا على بدايات هذه البلاغة لوجدنا الأمر واضحاً كلّ الوضوح، فالمكوّنات البنائيّة للبلاغة الغربيّة القديمة بدأت أسسها مع السوفسطائيّين، الذين اعتمدوا سلطة الخطاب للتأثير في متلقيهم ونشر أفكارهم، وذلك عبر ركنين مهمّين، هما:

– **الخطيب**، من حيث إنّ الإقناع يعتمد على الخطيب البليغ الذي يستطيع بقوّة حجّته وبراعته في الأقيسة والقضايا الظاهرة والمضمرة أن يثبت حقيقة القول الذي يطرحه – عبر خطابات محتملة–من عدمه، الحقيقة النسبيّة التي تعود إلى قناعته هو وليس إلى الواقع، مع توجيه تلك الحقيقة لخدمة قضايا المجتمع.

– **اللغة**، حيث يقع التركيز في الإقناع على الإمكانات الواسعة المتحقّقة من آفاق القول ومقاصده؛ لأنّ الإقناع يمثل المنفعة المتحقّقة من القول البليغ الذي يحقّق الإستمالة للمتلقّي؛ ولهذا وقع التركيز على مقوّمات اللغة(27).

فالمكوّنات البنائيّة للبلاغة الإقناعيّة عند السوفسطائيّين تعتمد ركنين أساسيّين هما: الخطيب، واللغة.

وهم قد اشترطوا كي تتحقّق الممارسة الإقناعيّة على أكمل وجه مجموعة من الشروط التي تؤدي سلطة القول نفعيّتها من خلالها، منها:

– ارتباط القول بظروف الواقع، وبطبيعة العلاقات الإنسانيّة.

– ربط الخطاب بمقصديّات القائل، وأحوال المخاطب، فبلاغة الإقناع تتنوّع طرقها بحسب غايات الخطيب ومقصديّاته.

– تنويع المقول وتشغيل المحتمل والممكن، فبلاغة الإقناع تشتغل على الوجوه المتعدّدة للخطاب(28).

– يشكّل الاستدلال سبيلاً ضروريّة لتحقيق الإقناع إلى جانب أجزاء الخطابة الأخرى: (المقدّمة، والسرد أو الحدث، والاستطراد، والخاتمة).

والواضح أنّ هذه المنطلقات في بلاغة السوفسطائيّين– وكذا في بقيّة الآراء من الغربيّن القدماء والمحدثين– انطلقت من الخطابة فركّزت–عندها– على الوظيفة والمقصد المتحقّق منها في الكلام، والوسائل الموصلة إلى مهمّة الاقناع– الهدف الرئيس لها– وبناء قيم الإنسان، فابتعدت قدر الامكان عن الأسس التي يعتمدها الشعر من الخيال والعاطفة؛ إذ أنّها كانت قائمة على مقوّمات الفلسفة المعتمدة على الواقع، مع التركيز على مدى نفعيّة البلاغة لتحقيق الهدف المراد منها من إقناع المتلقّي المباشر في الخطابة، وهذا النوع من التلقّي أوجب أن تكون لغة الحوار واقعيّة إلى حدّ كبير وإن اختلطت بالعواطف والمشاعر.

ولعلّ إقصاء أفلاطون لبلاغة السوفسطائيّين(29) يعود إلى هذا السبب فهو يرى عدم نفعيّتها أو انتفاء الحاجة إليها، فهي –عنده– تدخل ضمن الخطابات المضلّلة للعقول؛ لأنّها تعتمد التأثير في أهواء المخاطبين والتلاعب بمشاعرهم للوصول إلى إقناعهم، فاستبدل الصورة البلاغيّة القائمة على طرف مؤثّر واحد بصورة أخرى قائمة على طرفين واقعيّين ندّين ومختّصين في المجال نفسه، يدور بينهما حوار متبادل في الموضوع المطروح، قائم على أسلوب السؤال والجواب– الأسلوب الذي ميّزه عن سواه– ، يحاول أحدهما إقناع الآخر من دون الحاجة إلى سلطة قهريّة، فالوحدة الموضوعيّة للمتحاورين تعدّ شرطاً أساسيّاً عند أفلاطون.

وقد سار أفلاطون على خطى أستاذه سقراط في محاربة السوفسطائيّين ورفض ما قالوا به من خلال دعوتهما إلى عالم تسوده المثاليّة، فكان من الطبيعي أن تصطدم بعض أسس بلاغة السوفسطائيّين ومكوّناتها البنائيّة بأفكار أفلاطون المثاليّة، وهنا نجد

أن تركيز أفلاطون وقع على المتلقّي وليس على المتكلّم، فمهمّة البلاغة بالنسبة إليه هو مدى النفع المتحقّق منها لدى المتلقّي؛ ولهذا السبب فهو قد اشترط للبلاغة مجموعة من الشروط، منها:

- النفع الذي تحقّقه البلاغة يتمثّل في كمّ المعرفة التي تقدّمها للمتلقي.
- ملاءمة القول لنفسيّات المخاطبين.
- مناسبة أساليب القول لمقامات الكلام المختلفة.

فأصبحت البلاغة عند أفلاطون علميّة يقينيّة، قائمة على الحقيقة الماديّة العقليّة، وليس للعواطف دخل فيها كونها تضلّل المتلقين وتوهمهم وتتلاعب بمشاعرهم.

في حين أنّ البلاغة عند أرسطو أخذت خصوصيّتها، فهي ليست علميّة أو يقينيّة وإنّما تتبني على الاحتمال والتوقّع في داخل المجتمع الإنسانيّ وعلاقاته[30]، ولعلّه إدراك مدعوم بعاملين على الأقلّ:

- منطق الاحتمال لمنطقين متضادّين بالنسبة لمجمل القضايا مثار الخلاف بين المتخاطبين، وهنا تظهر وظيفة البلاغة في قدرتها على إيجاد التأثير المناسب لكلّ حالة من الحالات، من خلال خاصيّة الكلام، فتكون الوسيلة المناسبة لتوحيد المجتمع عبر وسائل مستمدّة من فكر الإنسان نفسه.
- تصوّره للمعرفة القائم على التعدّد، فالشيء المرئيّ ليس بالضرورة أن يكون عينه، وإنّما قد يكون شيئاً آخر يمثّله، وبموجب ذلك فالاختلاف المتأصّل في الهويّات الكائنة والممكنة مدعاة إلى إقامة جدل يوصل إلى إدراك المختلف بينها، وإيجاد ما قد يؤالفها؛ لذا فهو يستعمل الحجج الداعمة لما يريد الوصول فيه إلى الإقناع، فضلاً عن (عكس القضايا). بمعونة القياس المنطقيّ.

وبذا تكون البلاغة الأرسطيّة احتماليّة وتعدّديّة، تبني عمليّة الإقناع –بموجبها– على عقلنة الخطاب من دون إلغاء مبدأ التأثير بوساطة الأهواء، تهتم بالحجج ومقامات التواصل؛ ولذلك شملت مجمل أنماط الخطابات: البرهانيّ، والاستشاري، والقانونيّ، المحيلة على القسمة الثلاثيّة المعروفة للأنواع الخطابيّة (الخطيب/ الباثّ، والمستمع/ المتلقّي، والخطاب/ الرسالة أو الخطبة)، وأعطت الأولويّة للغة أو اللوغوس لإحداث التأثير (31).

وقد أولى أرسطو الاهتمام بالأركان التي يتحقّق الاقناع من خلالها: (الخطيب، والسامعون، والقول)، واشترط فيها شروطاً مهمّة لإحداث التأثير، منها:

أ– الخطيب، وهو حجّة مقنعة في الاستدلال الخطابيّ بأخلاقها وعنصر الثقة فيها، وهي عوامل تمنح الخطيب قوّته ومصداقيّته؛ لذا اشترط في الخطيب شروطاً منها: الفطنة والفضيلة والتلطّف للسامعين.

ب– السامعون، وذلك بالتركيز على التهيئة النفسيّة والاجتماعيّة لهم من أجل استدراجهم لاحقاً، وتحقيق انقيادهم واقتناعهم بما يطرحه الخطيب.

جـ– القول، فالاقناع يتوقّف على القول الذي يجب بناؤه حجاجيّاً، والعمل على تعبئته بالأدلّة القادرة على إقامة الاعتقادات أو تغييرها؛ لأنّ الاقتناع –من وجهة نظر أرسطو– يحدث عن الكلام نفسه.

ولا يلغي أرسطو دور المقدّمات الأسلوبيّة والتصويريّة في الفعاليّة التأثيريّة للقول؛ ذلك أنّ المضمون (النسيج القضويّ) وحده لا يبني الإقناع بل إنّ جماليّة القول خادمة للغاية نفسها(32).

وهكذا تهيأت لبلاغة الاقناع أسباب النضج داخل بلاغة أرسطو، إذ تأتي بتضافر أركان ثلاثة، هي: القول بما هو فكر، وأخلاق القائل، وانفعال المقول إليه وتأثره، وهذه

الأركان هي امتداد لاسهامات سابقيه، مضيفاً لها، ومعدّلاً، ومنظّماً، ثمّ إنّ المقاييس التي وضعها أرسطو لبلاغة الإقناع هي ما أعتمده المعاصرون من الغربيّين لمفهوم البلاغة الجديدة، إذ كانت عبارة عن محاولة بعث لبلاغة أرسطو من جديد.

فالبلاغة عند المؤسّسين لها من اليونان، أخذت المميّزات الآتية:

– أساسها الخطابة، فالخطابة اليونانيّة تمثّل فنّ الإقناع من خلال الخطابة، وهي قائمة على التدرّج في الأفكار فتنتقل من فكرة إلى أخرى.

– هي بلاغة قائمة على الاستدلال، الذي يشكّل جزءاً مكوّناً للخطابة إلى جانب (المقدّمة، والحدث، والاستطراد، والخاتمة).

– أنّها تسخر كلّ الإمكانات الفكريّة والعاطفيّة واللغويّة لتحقيق الإقناع.

وعند الوقوف على البلاغة العربيّة فإنّنا نجد أنّها عملت على دمج الخطابة بالشعر، مع فارق أنّ الخطابة لم تكن منطلقاً لها إذ ذابت أسسها مع الأسس المؤسّسة للشعر؛ ولهذا لم يقع التركيز على الحجّة والدليل والبرهان في البلاغة العربيّة مثلما كان في البلاغة اليونانيّة القديمة، وهذه السمة انعكست على كلّ المؤلّفات البلاغيّة القديمة، وهو أمر انسحب على البحوث الإعجازيّة أيضاً إذ تمّ التعامل مع نصوص القرآن على أنّها نصوص أدبيّة متفرّدة، لا بل استدلّوا على إعجازه بالنصوص الشعريّة، ولم يولوا الأهمية للحجج والأدلّة التي تضمّنها النصّ القرآنيّ.

ولم تنشغل البلاغة العربيّة في أوّل أمرها بالمخاطب–مثلما انشغل الغربيّون به–لا بل إنّه لم يكن موجوداً أساساً، ولكن جرى الاهتمام به لاحقاً عبر الكتابات التراثيّة التي ظهرت ضمن مسارات الإقناع، ممّا شكّل عاملاً قويّاً في تغيير طبيعة البلاغة وظهور

ما يسمّى بالبلاغة الإقناعيّة القائمة على استعمال الآليّات المخصّصة لها، لتتحدّد مهمّتها في إقناع المخاطب والتأثير فيه.

إلى جانب ذلك فالبلاغة العربيّة لم تعتمد مقياس الحقيقة أساساً لها، فهي تتبنى على مفهوم الاحتمالات والتعدّد لا العلم واليقين؛ ولذلك فما يراه المتكلّم صحيحاً وهو مؤمن به هو الذي يشكّل حقيقة الكلام حتّى وإن خالف رأي المتلقين؛ ولهذا فهو يسعى إلى تغيير معتقداتهم وآرائهم من خلال التأثير فيهم، وفي هذه النقطة اتفقت البلاغة العربيّة مع أرسطو في فكرة ارتباط البلاغة بالاحتماليّة والتعدّديّة.

وكان للثقافة الموسوعيّة التي تمتّع بها رائدو البلاغة الإقناعيّة من الطرفين (الغربيّ، والعربيّ) أثرٌ لا يُنكر في هذا المضمار، إذ تمتّعوا بثقافة لغويّة وكلاميّة أهّلتهم للتصرّف في فنون القول، مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو، والجاحظ وابن وهب والجرجانيّ والسكاكيّ والقرطاجنّي، إذ كانوا رجال مناظرة وقول، ملمّين بجوانب اللغة والثقافات، وهذا الأمر انعكس على كتاباتهم، فكان أمراً طبيعيّاً أن يعزّزوا كتاباتهم بالأدلّة والبراهين التي يستطيعوا من خلالها مقارعة الخصم وغلبته، وجذب النفوس والأذواق إليهم.

سادساً–الآليّات المتّبعة في الإقناع:

انفرد كلّ واحد من أقطاب البلاغة الإقناعيّة القدماء بوضع نظريّة خاصّة به قامت على استقصاء ما ورد عند سابقيهم، فالفلاسفة انتقدوا السوفسطائيّين، وأرسطو وضع نظريّة خاصّة به، والمشروع الحجاجيّ الاقناعي للجاحظ اعتمد فيه المقام، وابن وهب اعتمد الحجّة، والسكاكيّ اعتمد الاستدلال وهكذا، وهؤلاء جميعاً حاولوا بشكل أو آخر تصحيح ما ورد عند سابقيهم أو نقده أو التوسّع فيه، فأسهموا في تطوير مفهوم البلاغة

الإقناعيّة من جهة وبما يتناسب مع الظروف الإجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة السائدة في عصرهم من جهة أخرى.

والبلاغة العربيّة القديمة اعتمدت آليّة التقسيم الثلاثي القائم على: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، ولا زالت كذلك، فعلم المعاني هو وسيلة المتكلّم لتجنّب الوقوع في الخطأ، وعلم البيان هو وسيلته لتجنّب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام، وعلم البديع هو وسيلته لتحسين الكلام وإضفاء جماليّة التعبير عليه. وهذه الوسائل من خلال موضوعات كلّ علم من العلوم الثلاث هي المتّبعة عند القدماء من العرب والمعاصرين أيضا للوصول إلى التأثير في السامع من خلال وصول المعنى إلى قلبه، فضلاً عن آليّات اعتمدوها للتأثير في جمهورهم الخاصّ، مثل: الصور البلاغيّة والحجج، والشاهد، والمثل، والقياس، والاستدلال، والمقام، وهي لا تجتمع غالباً وإنّما قد تأتي متفاوتة، ولكن هذه الآليّات لم تكن شموليّة لتتساوى مع ما ورد في الدراسات الحديثة، فالمعاصرين من الغربيين كانت لهم آليّاتهم الخاصّة بهم ونظريّاتهم اللغويّة، التي تختلف عن آليّات القدماء، فبيرلمان- مثلاً- الذي عدّ البلاغة فنّاً للتعبير يرى أنّ البلاغة تمثل إجراءً تضاف إليه الحجّة لتشكيل الخطاب البلاغيّ المقنع، ومايير يرى أنّ كلّ شيء أضحى تواصلاً وكلّ خطاب هو تواصل، والبلاغة لا يمكن أن تنجح إلا إذا قامت على التواصل، وهكذا فالبلاغة قد تحقّق التأثير والاستمالة ولكنّها لن تصل إلى الإقناع إلا بمعيّة الحجج الساندة لها ومن خلال آليّات خاصّة بنظريّاتهم التي وضعوها.

والاسلوب الذي كان جزءاً من بلاغة الخطاب عند اليونان يمثّل الصدارة في البلاغة العربيّة التي لم تميّز بين الشعر والنثر إلا في بعض الجوانب، مثل عدم التزام الوزن أو التطرّق إلى موضوعات من دون أخرى[33]، ولكن من حيث المعالجة النقديّة فقد اشترك الشعر والنثر في الكثير من جوانب المعالجة عند العرب، بينما تعدّ الصور

البلاغيّة والأساليب من وجهة نظر الدارسين المعاصرين من الغرب هي تقنيّات بلاغيّة تستدعيها جماليّة الإيصال والتلقّي فهي تقنيّات ساندة للإقناع وليس لها الصدارة في البلاغة، وهي لا تحقّق الإقناع إلا مقترنة بالأدلّة والحجج لتزيل الإنكار أو الشكّ الذي قد يعرض في ذهن المتلقّي.

وتتبّع النظريّات الإقناعيّة جميعاً وعلى وفق ما ذكره الدارسون المعاصرون من الغرب للإفادة منها جملة من الآليّات، والإفادة منها جميعاً وبحسب تتابع وجودها وتطبيقها على البلاغة العربيّة التراثية هو أمر غير ممكن في الواقع وذلك بسبب تداخل العديد من العلوم في هذه النظريّات، فضلاً عن اختلاف الأسس التي اعتمدتها، فما بين التداوليّة واللسانيّة والبلاغيّة والأسلوبيّة والسيميوطيقيّة، والفلسفيّة، والمنطقيّة تتراوح هذه النظريّات؛ لذا تتراوح مهمّة الدارس وتتحدّد بانتقاء الآليّات الملائمة لنصّه الذي يدرسه، أو باختيار نظرية واحدة للتطبيق فقط من هذا الكمّ الواسع من النظريّات.

وهناك عناصر مكوّنه للبلاغة عموماً لا يختصّ بها الغرب من دون العرب، ولا القديم من دون الحديث، وإنّما الاختلاف واقع في العنصر المهيمن فيها، فعند اليونان كان المنطق هو العنصر المهيمن، فالاهتمام بالحجّة إلى جانب العلاقات الديمقراطيّة هو السائد، بينما نجد الشعر هو المهيمن عند العرب فأصبح الاهتمام بالاسلوب والعبارة هما السائدان ولهما الصدارة في الكلام، فاختلاف الموضوعات والمخاطبين هو الذي يقتضي تقديم وسيلة وتأخير أخرى بحسب الدواعي الموجبة[34].

والذي يبدو من خلال ما سبق أنّ هنالك تقارباً واقعاً بين البلاغتين (العربية التراثيّة، والحجاجيّة الاقناعيّة الغربيّة) ضمن فترات زمنيّة معيّنة عبر التأريخ ولكنّه على المدى الزمنيّ البعيد كان مختلفاً، فالمفهوم الجوهريّ الذي اعتمدت عليه كلّ من البلاغتين

متباين في ذاته، فالبلاغة الغربيّة قائمة على فكرة الاقناع، وهذه الوظيفة يقوم بها الخطيب (البلاغيّ) المتكلّم، بأساليب عاطفيّة أو عقليّة، من دون تحديد للموضوع الذي يقع فيه الاقناع، فالآليّة هي الأساس، أمّا التطبيق فغير مهم إن لم يكن مندرجاً ضمن هذه الآليّة.

أمّا البلاغة العربيّة فلبّ عملها وجوهره هو الايصال بأجمل صورة وأحسنها: (اللفظ، والمعنى، والنظم)، وأي اضطراب في واحد من هذه الأركان سوف يؤدي إلى خلخلة عمليّة الايصال، فاللغة الحسنة المصوّرة في أجمل صورة بأركانها تلك هي التي يُعتمد عليها للتأثير في المتلقّي وليس للمتكلّم دور في التأثير إن لم يقترن كلامه بهذه الشروط، وهذه هي النقطة الجوهريّة للتباين بين البلاغتين: الغربيّة والعربيّة، إذ تعتمد البلاغة الغربيّة الخطيب لتحقيق التأثير وإقناع المتلقّي ولهذا فاللغة أو الموضوع غير مهم عندهم قياساً إلى ما سبق، بينما تُعتمد اللغة الفنيّة الحسنة أساساً للإقناع في البلاغة العربيّة، وهي مهمّة عند البلاغيّين، وهذا فرق جوهريّ كبير بينهما.

إلى جانب ذلك فإنّ البلاغتين تتفقان في أنّهما تضمنتا الاهتمام بالبلاغة الحجاجيّة الإقناعيّة في فترة الخلافات الكلاميّة حيث يكون التسلّح بالوسائل الحجاجيّة البلاغيّة اللغويّة أمراً مهمّاً للدفاع عن حقوق الملكيّة – في البلاغة الغربيّة– من جهة، والوقوف ضد مزاعم وقوع الشبهات في القرآن الكريم وتنزيهه –في البلاغة العربيّة– من جهة أخرى، فظهرت الحاجة الماسّة إلى الاستعانة بالآليّات اللغويّة والبلاغيّة والسياقيّة المقاميّة للإفادة منها في ترجيح رأي على رأي أو غلبة قضيّة على أخرى، فالدفاع عن الآراء الاعتقاديّة كان هدفاً من أهداف البلاغتين ضمن فترات زمنيّة من تأريخهما مع اختلاف مضمون هذه الآراء بين الثقافتين.

ومن خلال ما استعرضناه من محاور تخصّ البلاغتين بيّنا أهمّ نقاط التباين والتوافق بين البلاغتين: الغربيّة والعربيّة وتوصّلنا إلى نتيجة واضحة للعيان وهي أنّ البلاغتين لا تتوافقان في النشأة والتجربة ومجال التطبيق فكيف يمكننا إجراء التطوير والتغيير بتطبيق تجربة إحداهما على الأخرى حرفيّاً؟ هذا السؤال المهم هم ما يحتاج إلى إجابة من خلال دعاة التطوير ممّن يبحثون عن تطوير البلاغة العربيّة من خلال تطبيق تجربة البلاغة الغربيّة عليها حرفياً.

– الآليّات المقترحة لتجديد البحث في مجال البلاغة الإقناعيّة:

إنّ الإكتفاء بنقل تجارب الآخرين ومحاولة التطبيق على نماذج من تراثنا اللغويّ لن يسهم في تحديث العلوم اللغويّة بقدر ما تسهم المحاولات الجادّة بإعطاء البلاغة العربيّة خصوصيّتها ومن ثمّ الإنطلاق بالإستحداث لمباحثها، والمعاصرة بما يتلاءم مع تطوّرات المجتمع الثقافي والفكريّ الحالي مع توافر الحاجة الماسّة للتطوير، وربّما لم يفعل الدارسون ذلك لعدم استشعارهم بأهمية الأمر، فما الذي سنستفيده فيما لو تطوّرت البلاغة وأصبحت مواكبة لبلاغة الغرب؟ هل سيتمّ توظيف هذا التطوّر في خدمة واقعنا من كلّ جوانبه؟ وهل سيتمّ توظيف الأمر في الجوانب النقديّة المعتمدة على البلاغة ؟، وبلاغتنا التي عرفناها وألفناه هي بلاغة القول الجميل والبليغ الذي يسعى إلى التأثير، فهي ليست ببلاغة حوار حتّى يمكن تبيان الأثر الذي تحدثه، وليست ببلاغة ردّ فعل حتّى نستبين المدى المتحقّق من هذا التأثير، وهذا الأمر يدخل في صلب الأسس التي تعتمد عليها البلاغة العربيّة في قواعدها التأسيسيّة، ولنا أن نستذكر حرص العرب القدماء في المحافظة على تراثهم اللغويّ من خلال وضعهم الميزان الصرفيّ وعرض ما يدخل إلى العربيّة من ألفاظ أعجميّة عليه ليتمّ تعريبه لاحقاً وبما يتلاءم مع قواعد اللغة العربيّة، فإذا كان القدماء قد انتفضوا لأجل ألفاظ متباينة قد تدخل على فترات

زمانيّة متفاوتة فما حالهم لو نظروا الآن إلى عمليّات التغريب التي يتمّ فرضها على البلاغة العربيّة باسم التطوير والتغيير، ونحن في حقيقة الأمر لسنا ضدّ الإفادة من تجارب الآخرين، ولكنّنا ضدّ أن يُمحى تراثنا بحجّة التطوير، وربّما جاءت محاولات القدماء من البلاغيّين في عدم تبنّي بعض مفاهيم البلاغة الإقناعيّة منطلقة من هذه النقطة، فالتأثر بالثقافة اليونانيّة لم يكن مرغوباً به إن كان تطابقاً ولذا لم تستمرّ تلك التجارب المتناثرة عبر المدى التأريخيّ لعلم البلاغة ولم يتمّ تطويرها، ولعلّ البعض رفضها وعرّضها للنقد؛ وربّما لهذا السبب لم تأخذ تلك المحاولات مداها الذي كنّا نطالب به ونتوقّعه.

وقضيّة إيجاد آليّات محدّدة ممكن اعتمادها لتطوير البلاغة أمر ليس بالهيّن فالقضيّة قد لا تخرج عن حيّز التنظير فيما لو لم تُعر إهتماماً كافيّاً، ولنا أن نقترح مجموعة من الآليّات التي يمكن أن توجّه مسار البحث في مجال البلاغة الإقناعيّة، محاولين إلقاء الضوء على خيارات لم تطرح أو يتمّ تطبيقها فعليّاً، ومن هذه الآليّات:

– **أوّلاً:** العودة إلى التراث ومن ثمّ الانطلاق إلى المعاصرة؛ وذلك من خلال الوقوف على الهدف الذي نشأت من أجله البلاغة العربيّة التراثيّة من خدمة القرآن الكريم والبحث عن إعجازه، وبذلك تكون الحاجة ماسّة للعودة بمقوّمات البلاغة الإقناعيّة إلى القرآن لإثبات ما يتوافق مع هذا النصّ المقدّس، وإبعاد ما يتخالف معه للوصول إلى قواعد وأسس لبلاغة إقناعيّة تترادف مع أسس البلاغة العربيّة وتعتمد عليها، وتشتمل على إضاءات جديدة لمناطق لم يُسلّط الضوء عليها سابقاً، ومسارات جديدة كانت خافية عن الأنظار يمكن توظيفها لتجديد البلاغة التراثيّة، وليس القصد هنا– مثلما فعل بعض الدارسين– اعتماد آليّات البلاغة الغربيّة المعاصرة وإعادة تدوير تطبيقها على نصوص من القرآن الكريم، وإنّما القصد البحث من جديد في النص القرآنيّ لاستلهام بلاغة

إقناعيّة خاصّة به، موظّفة لخدمته كي نستطيع لاحقاً تطبيقها على نصوص نثريّة وشعريّة أخرى من التراث العربيّ، فنكون بذلك قد تابعنا الآليّة نفسها التي اعتمدها القدماء للوصول إلى قوانين البلاغة التراثيّة وقواعدها.

– **ثانياً**: إعادة قراءة التراث البلاغيّ قراءة جديدة تحاول أن تستكشف المنظومة القواعديّة التي قامت عليها البلاغة، ويمكن أن يسعفنا في هذا المضمار بعض دراسات المعاصرين في محاولة تفسير الآليّات المعتمدة في تحليلات البلاغيين القدماء، هذه القراءة تعتمد بيان نقاط التميّز للبلاغة العربيّة قياساً إلى معاصرتها الغربيّة، ومحاولة الكشف عن توجّهات جديدة تسير في ظلّ الدراسات المعاصرة ولكنّها– بطبيعة الحال– تنفصل طبيعيّاً عن البلاغة التراثيّة، فالبلاغة الإقناعيّة لم تنحصر بعلم البلاغة فقط وإنّما تداخل معها علوم مختلفة، مثل: المنطق، والفلسفة، والنحو، والصوت، واللغة، علم اللسانيّات الحديث، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والإعلام، والإشهار، والسياسة والإقتصاد وغيرها، وهذا العلوم قد لا تستقلّ بها البلاغة وحدها، أو قد لا يكون لها مدخليّة في علم البلاغة في أحيان كثيرة؛ ولذا توجّب توظيف هذه العلوم جميعاً ومحاولة تشكيل علم عربيّ جديد يضمّ كلّ هذه المقوّمات ويفيد من الأسس البلاغيّة التراثيّة إلى جانب الأسس اللغويّة الأخرى بدلاً من محاولة التطبيق على التراث وتوجيهه غير الوجهة التي وضعها القدماء له.

– **ثالثاً**: الإفادة من تجارب المعاصرين الغربيّين في مناهج الدراسة وليس في مجال التطبيق حتّى لا نكون تابعين نجترّ ما ينتجونه فقط، فالمناهج الحداثيّة المعتمدة في الدراسات الغربيّة من الممكن أن تفتح آفاقاً جديدة للدارسين يستطيعوا من خلالها إلقاء الضوء على الأماكن التي تحتاج إلى إضاءة جديدة فيتمّ توظيف المنهجيّات المتوافقة مع خصوصيّة اللغة لا العكس، وقد نكتفي بإدخال تجارب الغرب ضمن باب الجهود

المترجمة من دون تعميمها على التطبيق، فنسلم بذلك من إشكالات اضطراب المفاهيم بين الحضارتين.

وعلى الرغم من وجود بعض التوافقات الفكريّة في المفهوم– بين البلاغة العربيّة والبلاغة الإقناعيّة– إلا أنّنا لا نحملها على التطابق التامّ في الجزئيّات فالدراسات العربيّة المعاصرة تشير إلى وجود توافقات في الغالب ولكنّها قد تشير إلى وجود افتراقات ضمناً ومن دون وعي أحياناً من قبل الدارسين([35])، وهذا الأمر يعطينا الحقّ بالتوقّف لحظة قبل الشروع بتطبيق تجربة لغويّة متكاملة ذات خصائص تكوينيّة معيّنة ومحدّدة على تجربة أخرى تختلف في كلّ ذاك أو في بعضه حتّى، وهو ما فعلناه في استعراض موضوعات البحث، فكأنّ البحث بمجمله يشكّل هذا التوقّف اللحظيّ للتفكير قبل أن ننطلق إلى التطوير والتحديث لمفاصل البلاغة العربيّة، ولا يعني هذا الكلام أنّنا نرفض هذا التطوير مطلقاً وإنّما ندعو إلى تبنّي فكر ينظر إلى هذه الخصوصيّة الذاتيّة ومن ثم ينطلق بما يتناسب معها.

– خاتمة البحث ونتائجه:

كان التنقّل في ميادين البلاغة الإقناعيّة نافعاً لنا لاستعراض ما قدّمناه في البحث من إشكاليّة إعتماد أغلب الدارسين في هذا المجال على آليّات الدراسات الغربيّة المعاصرة واعتمادها في التطبيق من دون الأخذ بنظر الاعتبار خصوصيّة التراث البلاغيّ، وقد أثبتنا وجود الافتراقات إلى جانب التوافقات في البلاغتين: الغربيّة والعربيّة (القديمة والمعاصرة)؛ ممّا يجعلنا نقف متأنين أمام استيراد تجارب الآخرين من دون محاولة الإبتكار لتطوير علومنا من داخل منظومتها التراثيّة، وقد توصّلنا بعد الخوض في الموضوعات السابقة إلى جملة من النتائج، نلخّصها بما يأتي:

– ضرورة إيجاد توصيف سليم للبلاغة العربيّة قياساً إلى البلاغة الحجاجيّة الإقناعيّة من خلال الوقوف عند نقاط الاتّفاق والافتراق بينهما، فالوقوف على نقاط التباين يسمح لنا بمحاولة إيجاد حلول لهذه التباينات قبل أن نشرع في محاولة التطوير، وعلى أساس هذه النقاط يمكن أن تنطلق الآليّات التي تُقترح وبما يتناسب مع التجربة المطلوب تطبيقها وبيان فاعليّتها لاحقاً.

– لفت انتباه الدارسين والقرّاء إلى حساسيّة موضوع التطوير للعلوم اللغويّة، وإنّه لا ينبغي أصلاً أن يعتمد على الترجمة فقط بل ينبغي أن يكون مشفوعاً بدراسة ذاتيّة لكلّ مفاصل العلم نفسه قبل أن ننطلق باقتراح التطوير.

– ضرورة إقتراح مجموعة آليّات لتطوير علومنا اللغويّة العربيّة عامّة والبلاغيّة خاصّة، هذه الآليّات المقترحة ينبغي أن تكون مدروسة بشكل دقيق من قبل الباحثين والمهتمّين بمجال التطوير، ومن ثمّ توسيع مدار هذه المقترحات لتشمل جانباً تطبيقيّاً مفعّلاً في داخل العلوم اللغويّة والبلاغة العربيّة ذاتاً ومضموناً.

هوامش البحث

---

[2]) للاطلاع على تفاصيل أوسع فيما سنعرضه، ينظر: البلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي: 38، وبلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل: 28، 29، وبلاغة المقموعين (مقال) ضمن: المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، د. جابر عصفور: 7، والحجاج، مفهومه ومجالاته، مقدمة الطبعة الاولى، حافظ إسماعيلي علويّ: 1/ 46، والحجاج، مدخل نظري تاريخي، محمد الوليّ: 2/ 75.

[3]) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ، د. محمد العمريّ: 13.

[4]) ينظر: أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة، إشراف حمّادي صمود: 8، 9، 28.

[5]) ينظر على سبيل المثال: المورد، قاموس انكليزي–عربي، منير البعلبكي: 677، المنهل، قاموس فرنسي– عربي، سهيل أدريس: 900.

[6]) ينظر: موسوعة لالاند الفلسفيّة، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل: 230، آليّات الاقناع في الخطاب القرآنيّ (رسالة ماجستير)، هشام بلخير:15، 16.

[7]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادّة (قنع): 11/ 321، 322.

[8]) للتوسّع في الأفكار التي طرحناها ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: 53، والآليّات الحجاجيّة للتواصل، ليونيل بلنجر، ترجمة: عبد الرفيق بوركي، مقال ضمن مؤلف: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة: 92،93، الحجاج عند أرسطو، هشام الريفيّ: 141، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه: سامية الدريدي: 17، بلاغة الإقناع، الأصول اليونانيّة، د. الحسين بنو هاشم: 41، 56، 62.

[9]) ينظر في بيان معناها اللغويّ: لسان العرب، مادّة (بلغ): 1/ 486.

[10]) ينظر على سبيل المثال: النكت في إعجاز القرآن، الرمّانيّ: 75، كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكريّ: 1/ 6، إعجاز القرآن، الباقلاني: 286.

[11]) وردت مفاهيم متعدّدة عند القدماء من البلاغيّين كان هدفها هو الإقناع، من أمثلة: الإفهام، وأثر المقام في الكلام، والقياس، والاهتمام بالخطاب، ومراعاة مقتضى الحال، والتركيز على المستمع، وهذه المفاهيم وردت في كتب البلاغيّين القدماء بشكل واضح (ينظر على سبيل المثال: البيان والتبيين: 1/ 75، 87، 139، البرهان في وجوه البيان: 67 وما بعدها، مفتاح العلوم: 168، 170، 318- 320).

[12]) منهاج البلغاء وسراج الادباء: 20.

[13]) مفاتيح العلوم: 177.

[14]) ينظر مفهوم الاقناع وتعريفه للوقوف على ما ذكرنا في: البلاغة والاسلوبية، هنريش بليث، ترجمة: د. محمد العمري: 102، النصّ والخطاب والاتصال، محمد العبد: 192، النصّ الحجاجيّ، دراسة في وسائل الاقناع، محمد العبد، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته: 678، الصورة الاشهارية، آليات الاقناع والدلالة، سعيد بنكراد: 187- 188، كيف نقنع الآخرين، عبد الله بن محمد العوشن: 26، الاتصال الاجتماعي ودوره في التفاعل الاجتماعي، إبراهيم أبو عرقوب: 189، الاقناع والتأثير، دراسة تأصيلية دعوية، إبراهيم بن صالح الحميدان: 49، والحجاج وبناء الخطاب، أمينة الدهري: 6، 21، 163، بلاغة الإقناع في المناظرة: 84، 85، بلاغة الإقناع، الأصول اليونانيّة: 52.

[15]) من الآليّات الإقناعيّة التي وردت عند القدماء بكثرة: التشبيه، والتمثيل، والاستعارة، والتكرار، والطباق، والمقابلة، والملازمة بين المعاني، وهذه المفاهيم كثيرة مبثوثة في كتب القدماء.

[16]) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ، صلاح فضل: 90 وما بعدها، والحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الطلبة: 102، 104، والاستدلال الحجاجيّ التداوليّ وآليّات اشتغاله (مقال)، رضوان الرقي: 67، والأسس النظريّة لبناء شبكات قرائيّة للنصوص الحجاجيّة (مقال)، عبد العزيز الحويدق: 2/ 555.

[17]) ينظر: الحجاج وقضاياه من خلال مؤلّف روث آموسي (الحجاج في الخطاب)، علي الشبعان: 1/ 925، وبلاغة الإقناع، دراسة نظريّة تطبيقيّة، عبد العالي قادا: 157.

[18]) ينظر: البلاغة، مدخل لدراسة الصور البيانيّة، فرانسوا مورو، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير: 12، والسبيل إلى البلاغة الباتوسيّة الأرسطيّة، محمد الولي: 1/ 743، والحجاج، مدخل نظريّ تاريخيّ (مقال)، محمد الولي: 92/1، ومدخل إلى الحجاج: افلاطون وارسطو وشاييم بيرلمان (مقال)، محمد الولي: 33، والحجاج، مفهومه ومجالاته، مقدمة الطبعة الاولى، حافظ اسماعيل علوي: 1/ 44، هامش رقم (15).

[19]) ينظر: الحجاج مبحث بلاغيّ، فما البلاغة ؟، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، محمد العمريّ: 1/ 113، والحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، عبد الله صولة: 28، والبلاغة العربيّة في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)(مقال)، عبد الله صولة: 1/ 127، والبلاغة السوفسطائيّة وفاتحة الحجاج، أحمد يوسف: 1/ 680، والسيميائيّات والحجاج، مقاربة في المرتكزات الابستيميّة(مقال)، أحمد يوسف: 86/2.

[20]) ذهب محمد الولي إلى أنّ القصد من البلاغة هو الذي يحدّد الترجمة، فإذا كان المراد منها بلاغة الحجاج كانت الترجمة متجهة إلى (الخطابة)، وإن كان المراد هو المحسّنات من دون فلسفة كانت الترجمة متجهة إلى (البلاغة)(ينظر: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية: 12، وينظر: الحجاج مدخل نظري تاريخي، ضمن كتاب: الحجاج ، مفهومه ومجالاته: 1/ 75).

[21]) ينظر في هذه الفكرة: الحجاج، مفهومه ومجالاته، مقدّمة الطبعة الأولى: 1/ 45، والحجاج مبحث بلاغيّ، فما البلاغة؟: 1/ 119، والبلاغة العربيّة في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج): 1/ 127، 132.

[22]) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، مقدّمة الطبعة الثانية، د. عبد الرزاق بنّور: 1/ 34، 35.

[23]) البلاغة عند أرسطو نتاج فكر حرّ؛ ولهذا فهو لا يُلزم الجمهور بتلقّي خطابات وقبولها، إلا بقدر ما يتناسب مع اعتقاداته وأفكاره، استناداً إلى بنية مزدوجة تقبل الطرح والطرح المضادّ، أمّا البلاغة الرومانيّة فقد ظلّت رهينة لموجبات اجتماعيّة وسياسيّة تحكم علاقة الإرسال بالتلقّي (ينظر على سبيل المثال: ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري: 5، بلاغة الإقناع في المناظرة: 27، بلاغة الحجاج، الأصول اليونانيّة: 33، 34).

[24]) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: 5.

[25]) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: البيان والتبيين، الجاحظ: 1/ 138، 139، العمدة، ابن رشيق: 1/ 245، كتاب الصناعتين: 1/ 6، مفتاح العلوم، السكاكي: 175، 256.

[26]) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: البيان والتبيين: 1/ 112، 113، وكتاب الصناعتين: 10، 19، 59.

[27]) للنظر إلى أهمية الخطيب واللغة عند السوفسطائيّين تراجع المصادر الآتية: بلاغة الاقناع في المناظرة: 30، والحجاج والمغالطة، رشيد الراضي: 12، بلاغة الحجاج، الأصول اليونانيّة: 82 وما بعدها.

[28]) ينظر: بلاغة الاقناع في المناظرة: 32.

[29]) ينظر للوقوف على موقف أفلاطون من السوفسطائيّين: الحجاج والاستدلال الحجاجي: 9، 10، الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي: 72، بلاغة الإقناع في المناظرة: 28، 29، 34–38، والحجاج والمغالطة: 14، وبلاغة الحجاج، الأصول اليونانيّة: 159.

[30]) تراجع هذه الأفكار لغرض التوسّع: أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة، مجموعة مقالات تحت اشراف حمادي صمود: 11، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: 4، 5، الحجاج، مفهومه ومجالاته، مقدمة الطبعة الاولى: 49/1، الحجاج مدخل نظري تاريخي: 75–79، بلاغة الاقناع في المناظرة: 43، 48، بلاغة الإقناع، دراسة نظريّة وتطبيقيّة: 26، 27، وينظر: البلاغة القديمة: 38، ومقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج، حمّادي صمود: 38.

[31]) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: 5.

[32]) ينظر: بلاغة الاقناع في المناظرة: 54، 55.

[34]) ينظر: في بلاغة الخطاب الاقناعي: 20.

[35]) أشرنا إلى جملة من إشارات الباحثين المعاصرين إلى التوافقات الفكريّة في بحثنا المرقون: (بلاغة الإقناع) في الدراسات المعاصرة...رؤى ومتطلّبات.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: الكتب:

- الاتصال الاجتماعيّ ودوره في التفاعل الاجتماعي: إبراهيم أبو عرقوب، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، (د. ت).

- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية: محمد الولي، منشورات دار الامان، مطبعة الكرامة، الرباط، 2005م.

- إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط4، دار المعارف، مصر، 1977م.

- أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس، 1998م.

- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، (د. ت).

- بلاغة الإقناع، دراسة نظريّة وتطبيقيّة: عبد العالي قادا، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 2016م.

- بلاغة الإقناع في المناظرة: عبد اللطيف عادل، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، ومنشورات الاختلاف-الجزائر، 2013م.

- بلاغة الحجاج، الأصول اليونانيّة: د. الحسين بنو هاشم، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2014م.

- بلاغة الخطاب وعلم النصّ: د. صلاح فضل، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1996م.

- البلاغة القديمة: رولان بارت، ترجمة وتقديم: عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك للغة العربيّة، المغرب العربي، 1994م.

- البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانيّة: فرانسوا مورو، ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير، أفريقيا الشرق، (بيروت-المغرب)، 2002م.

- البلاغة والاسلوبية، نحو نموذج سيميائيّ لتحليل النصّ، هنريش بليث، ترجمة محمد العمريّ، ط1، دراسات سال، الدار البيضاء، 1989م.

- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.

- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م.

- الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه: سامية الدريدي، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2008م.

- الحجاج في القرآن الكريم من خلال اهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2007م.

- الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، رشيد الراضي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010م.

- الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: أمينة الدهري، ط1، المدارس، الدار البيضاء، 2010م.

- الصورة الاشهاريّة: آليّات الاقناع والدلالة، سعيد بنكراد، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، بيروت، 2009م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانيّ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2001م.

- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظريّ وتطبيقيّ لدراسة الخطابة العربيّة، الخطابة في القرن الاول نموذجاً، محمد العمري، ط2، دار أفريقيا الشرق، (بيروت- المغرب)، 2002م.

- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكريّ (ت395هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة، 1971م.

- كيف نقنع الآخرين: عبد الله بن محمد العوشن، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1413هـ.

- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، ومؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، 1999م.

- مفاتيح العلوم، محمد أحمد بن يوسف الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989م.

- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي وتقديمه، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2000م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجنّي، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة وتقديمه، ط2، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1981م.

- المنهل (قاموس فرنسي-عربي): سهيل أدريس، ط23، دار الآداب، بيروت، 1999م.

- المورد، قاموس إنكليزي-عربيّ: منير البعلبكي، ط49، دار العلم للملايين، بيروت، 2005م.

- موسوعة لا لاند الفلسفيّة: أندريه لا لاند، تعريب: خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، (بيروت-باريس)، 2001م.

- النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: عليّ بن عيسى الرمّانيّ (ت386هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، ط2، دار المعارف، مصر، 1968م.

- النصّ والخطاب والاتصال: محمد العبد، ط1، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، 2005م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الأكاديميّة:

- آليّات الإقناع في الخطاب القرآنيّ (سورة الشعراء نموذجاً)، دراسة حجاجيّة: هشام بلخير، ماجستير، كليّة الآداب واللغات/ الجمهورية الجزائريّة الديمقراطية الشعبية، 2012م.

ثالثاً: المقالات:

- الآليّات الحجاجيّة للتواصل: ليونيل بلنجر، ترجمة: عبد الرفيق بوركي، مقال ضمن مؤلف: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقيّة محكمة في الخطابة الجديدة (جـ 2)، مجموعة مقالات تحت اشراف حافظ اسماعيلي علوي، ط1، بيروت: دار الروافد الثقافيّة-ناشرون، 2014م.

- الاستدلال الحجاجيّ التداوليّ، آليّات اشتغاله: رضوان الرقبي، مجلّة عالم الفكر، الكويت، مجلّد 40، ع 2 أكتوبر، 2011م.

– الأسس النظريّة لبناء شبكة قرائيّة للنصوص الحجاجيّة، عبد العزيز الحويدق، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته.

– الإقناع والتأثير، دراسة تأصيليّة دعويّة: إبراهيم بن صالح الحميدان، مجلّة جامعة الامام، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، محرّم، ع49، 1426هـ.

– البلاغة السوفسطائيّة وفاتحة الحجاج، أحمد يوسف، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقيّة محكمة في الخطابة الجديدة، مجموعة مقالات تحت اشراف حافظ اسماعيلي علوي، ط1، دار الروافد الثقافيّة–ناشرون، 2014م.

– البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، عبد الله صولة، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته.

– بلاغة المقموعين، مقال ضمن كتاب المجاز والتمثيل في العصور الوسطى: د. جابر عصفور، ط2، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1993م.

– الحجاج عند أرسطو، هشام الريفيّ، ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمّود، منشورات كليّة الآداب، تونس، 1998.

– الحجاج مبحث بلاغيّ، فما البلاغة ؟: محمد العمريّ، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته.

– الحجاج، مدخل نظري تأريخيّ، محمد الولي، ضمن: الحجاج، مفهومه ومجالاته.

– الحجاج والاستدلال الحجاجي، حبيب إعراب، مجلّة عالم الفكر، مج 30، ع1، يوليو–سبتمر، 2001م.

– الحجاج وقضاياه من خلال مؤلّف روث آموسي (الحجاج في الخطاب)، علي الشبعان، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته.

– السبيل إلى البلاغة الباتوستيّة الأرسطيّة: محمد الولي، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته.

– السيميائيّات والحجاج، مقاربة في المرتكزات الأبستميّة، أحمد يوسف، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته.

– مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان: محمد الولي، مجلّة عالم الفكر، الكويت، مجلّد 40، ع 2 أكتوبر، 2011م.

– مقدّمة الطبعة الأولى لكتاب الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقيّة محكمة في الخطابة الجديدة، حافظ اسماعيليّ علويّ، مجموعة مقالات تحت اشراف حافظ اسماعيلي علوي، ط1، دار الروافد الثقافيّة–ناشرون، بيروت، 2014م.

– مقدّمة الطبعة الثانية لكتاب الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقيّة محكمة في الخطابة الجديدة: عبد الرزاق بنّور، مجموعة مقالات تحت اشراف حافظ اسماعيلي علوي، ط1، دار الروافد الثقافيّة–ناشرون، بيروت، 2014م.

– مقدّمة في الخلفيّة النظريّة للمصطلح، حمّادي صمّود، ضمن كتاب: أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مجموعة مقالات لباحثين تحت إشراف حمّادي صمّود. تونس: كليّة الآداب بمنوبة، (د. ت).

– النصّ الحجاجيّ العربيّ، دراسة في وسائل الاقناع، محمد العبد، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته.